كنيسة الشَّهيد العظيم مار جرجس باسبورتنج بالإسكندريَّة
اجتماع الخُدَّام والخادمات
الأحد ٢٢ مارس سنة ٢٠١٥م

جسدي المكسور ودمي المسفوك لأجلكم

في ذات مرَّة، وقف الرَّب أمام الجموع وقال لهم: «أنا هو خُبز الحياة». ثمَّ قال: «أنا هو الخُبز **الحي** النَّازل من السَّماء»[١]. ثمَّ قال: «الخُبز الذي أنا أعطي **هو جسدي**»[٢]. ثمَّ قال: «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم»[٣]. ثمَّ قال: «جسدي مأكلٌ حق، ودمي مشربٌ حق. من يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت فيَّ وأنا فيه»[٤].

وبعد أن أكل الرَّب الفصح مع تلاميذه، وفجأة:

(متى ٢٦:٢٦-٣٠) «وفيما هم يأكلون، **أخذ** يسوع الخُبز، **وبارك وكسر وأعطى** التَّلاميذ، وقال: خذوا كُلوا هذا هو جسدي. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلُّكم، لأنَّ هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا. وأقول لكم: إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا، إلى ذلك اليَوم، حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي. **ثمَّ سبَّحوا** وخرجوا إلى جبل الزَّيتون»[٥].

(لوقا ٢٢:١٩، ٢٠) «**وأخذ** خبزاً **وشكر وكسر وأعطاهم** قائلاً: هذا هو جسدي **الذي يبذل عنكم، اصنعوا هذا لذكري**. وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم».

(١كورنثوس ١١:٢٣-٢٦) «لأنَّني تسلَّمتُ من الرَّب ما سلَّمتُكُم أيضاً، إنَّ الرَّب يسوع في اللَّيلة التي أُسلم فيها، **أخذ** خبزاً، **وشكر، فكسر**، وقال: خذوا كُلوا هذا هو **جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري**. وكذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشَّوا قائلاً: هذه الكأس هي العهدُ الجديد بدمي. **اصنعوا هذا كُلَّما شربتم لذكري**. فإنكم كُلَّما أكلتم هذا الخُبز، وشربتم هذه الكأس، تُخبرن بموت الرَّب إلى أن يجيء».

وهنا وقبل الاسترسال في الحديث، ينبغي أن نوقن، أنه لا يمكُننا بحال من الأحوال، أن نفصل بين جسد المسيح المكسور في سرِّ الإفخارستيَّا على المذبح، وجسده الذي قدَّمه لتلاميذه مأكولاً في ليلة العشاء الأخير، وجسده المكسور على الصَّليب. كما لا نستطيع أن نفرِّق أيضاً بين دم كأس العهد الجديد، ودمه الذي قدَّمه في ليلة العشاء الأخير، ودم الجنب المطعون على الصَّليب. لأنَّ المسيح له المجد، في ليلة العشاء الأخير، قد أكمل على المستوى السِّري، ما كان سيتحقَّق على المستوي العملي، حتى تصير ذبيحة المسيح ذبيحةً واحدة، وفعلَها واحد، لأنها ذبيحة إلهيَّة لا يحدّها الزَّمان أو يحصرها المكان. فدم المسيح معروفاً سابقاً قبل كون العالم، ولكنَّه أُظهر الآن في الأزمنة الأخيرة من أجلنا، كقول بطرس الرَّسول[٦].

هذا هو السِّر العظيم الذي للإيمان، أو الذي للتَّقوى. هذا هو سرُّ حضور المسيح الدَّائم في الكنيسة، ومن ثمَّ حضور الآب والابن والرُّوح القُدُس. لأنه حيث المسيح، فهناك الآب والرُّوح القُدُس.

وعلينا الآن أن نتكلم قليلاً عن جانب من جوانب هذا السِّر العظيم المقدَّس.

١- هنا تذمَّر اليهود وقالوا: 'أليس هذا هو يسوع بن يوسف، الذي نحن عارفون بأبيه وأمِّه؟ فكيف يقول هذا إني نزلت من السَّماء؟'.
٢- هنا خاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: 'كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟'.
٣- هنا كانت الصَّدمة الأشد، حيث تذمر الكثيرون من الذين يتبعونه. وحتى التَّلاميذ أنفسهم قالوا هذا الكلام صعب. من يقدر أن يسمعه؟
٤- وهنا رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه. ولم يهم يسوع. بل قال للاثني عشر: 'ألعلَّكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا؟' فأجابه سمعان بطرس: 'يا ربُّ إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبديَّة عندك'» (يوحنا إصحاح ٦).
٥- انظر أيضاً: (مرقس ١٤:٢٢-٢٥).
٦- (١بطرس ١:١٨-٢١).

فما قرأناه الآن من الكتاب المقدَّس، يشرح لنا الشَّكل الأوَّلي لقُدَّاس الإفخارستيَّا، حاوياً الأفعال الأساسيَّة التي تَمَّمها السيِّد الرَّب نفسه في العشاء الأخير عندما:

- أخذ خُبزاً (التَّقدمة – Offertory).
- **وبارك أو شَكَرَ (التَّقديس** – Consecration).
- وكسر (القسمة – Fraction).
- وأعطى التَّلاميذ (التَّناول – Communion).
- ثمَّ سبِّحوا (التَّسبيح أثناء التَّناول).

وكَون الإفخارستيَّا ملتحمة التحاماً شديداً بالمراحل الطَّقسيَّة ''للعشاء الأخير'' الذي أكمله الرَّب مع تلاميذه في العليَّة في يوم خميس العهد، فإنَّ ليتورجيَّة الإفخارستيَّا التي نمارسها اليَوم كوصية الرَّب الغالية «اصنعوا هذا لذكري»، قد تكوَّنت في هيكلها العام من هذه الأفعال السَّابق ذكرها، مع إضافات هي بالتَّحديد:

- القُبلة المقدَّسة أو قُبلة السَّلام التي تسبق التَّقدمة، لأنَّ العطايا التي تُقدَّم لله لا تُقبَل إلاَّ من داخل المحبَّة.
- التَّحية الأوليَّة Preliminary greeting التي تعقُب التَّقدمة، وهي في قول الكاهن: ''الرَّب مع جميعكم''.
- قُدَّاس وصفي لشرح مراحل الخلاص بدءاً من الخلْق وانتهاء بالجلوس عن يمين الآب.
- صلوات الأواشي.
- جُملة ختاميَّة لتسريح الشَّعب.

وهذا هو قُدَّاس الإفخارستيَّا الذي نمارسه اليَوم.

وسوف أحصر حديثي معكم اللَّيلة بمعونة الرَّب، على فعل ليتورجي واحد من الأفعال الأساسيَّة التي تممها السيِّد الرَّب في ليلة العشاء الأخير، وهو فعل ''التَّقديس'' Consecration وذلك في قول الكتاب المقدَّس عن الرَّب، أنه «بارَكَ» أو «شكَرَ». وهو الفعل اللِّيتورجي الواقع بعد تقديم الحَمَل، وقبل القسمة.

فخُبز الإفخارستيَّا بعد التَّقديس عليه، هو جسد إلهي للمسيح. أي جسد بالحق ἀλήθεια لا بالشَّكل والطَّعم. وخمر الإفخارستيَّا، هي دمٌ حقيقي للمسيح، لا بالشَّكل والطَّعم. جسدٌ حقيقي، ودمٌ حقيقي، لا تقدر الحواس الطَّبيعيَّة الجسديَّة أن تدركهما، وإلاَّ ما صار السِّرُّ سراً. لأنه كيف يمكن للحواس أن تُدرك اللاهوت؟ ولكن الرُّوح القُدُس يعلنه لمن يشاء، وبالطَّريقة التي يشاء، وفي الوقت الذي يشاء. ومن هو كفءٌ لهذا؟

وفي هذا القسم من القُدَّاس الذي يقع بين تقديم الحَمَل وصلاة القسمة، نجد أنَّ النَّصوص الكتابيَّة السَّابق ذكرها، تتكلَّم عن ''التَّقديس'' وعن ''التَّذكار'' أيضاً طبقاً لقول الرَّب «اصنعوا هذا لذكري». ولقد أضافت اللِّيتورجيَّات القديمة إلى هذين الفعلين، فعل ''الاستدعاء''، وذلك قبل صلوات القسمة. ولذلك ففي هذه الجزئيَّة من القُدَّاس الإلهي، لدينا:

- كلمات التَّأسيس (والتي تُدعى عند الأقباط: الرُّشومات).
- التَّذكار ἀνάμνησις – Anamnesis
- الاستدعاء ἡ ἐπίκλησις – The Invocation

أوَّلاً: كلمات التَّأسيس أو الرُّشومات

''كلمات التَّأسيس'' هي الكلمات التي قالها الرَّب على الخُبز والكأس في ليلة العشاء الأخير، فأسَّس بها العهد الجديد بدمه. وهي تُسمَّى أيضاً ''كلمات العهد''، أو ''كلمات الحد''، أي الحد الأخير لعهد قديم مضى وعهد جديد بدأ. كما أنها تُدعى أيضاً ''رواية التَّأسيس''، لأنها تصف ما فعله الرَّب يسوع المسيح في ليلة العشاء الأخير. وهذا القسم من القُدَّاس الإلهي يُدعى عند السِّريان باسم ''الكلمات الجوهريَّة''. أمَّا الاسم الشَّائع له في الكنيسة القبطيَّة، فهو ''الرُّشومات''.

يقول القدِّيس أمبروسيوس (٣٣٩-٣٩٧م):

[المسيح هو بعينه الذي يُعلن خلال الكاهن: ''هذا هو جسدي'']

وكلُّ اللِّيتورجيَّات الشَّرقيَّة بأسرها – استناداً إلى ما ذكره القدِّيس بولس الرَّسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس[٧] – تشير في مطلع كلمات التَّأسيس، إلى أنَّ الرَّب قد أسَّس سرَّ الإفخارستيَّا في اللَّيلة التي أسلم ذاته فيها ليتألَّم عن خطايانا، ذلك لأنَّ اليَوم الكنسي يُحسب في الشَّرق من غروب الشَّمس إلى غروبها. أمَّا اللِّيتورجيَّة الغربيَّة، فتذكر أنَّ الرَّبَّ قد أسَّس السِّر في اليَوم السَّابق لآلامه، لأنَّ الكنيسة اللاَّتينيَّة تحسب اليَوم، من نصف اللَّيل إلى نصف اللَّيل[٨].

وبحسب الطَّقس القبطي، عندما يرشم الكاهن القرابين المقدَّسة بالرُّشومات الثَّلاثة المصاحبة لهذه الكلمات الثَّلاث – شكر وبارك وقدَّس – يجيب الشَّعب بعد كلِّ رشم منها قائلاً: ''آمين''. وذلك خلافاً للطَّقس السِّرياني والطَّقس البيزنطي الذي يكتفي بالمرد آمين في نهاية الرُّشومات الثَّلاثة على كلٍّ من الخُبز والكأس.

وفي لحظة بدء كلمات التَّأسيس، يوقد شمامسة المذبح، شموعاً يحملونها في أيديهم، تعبيراً عن أنَّ كلمات الآلام والصَّليب والموت، التي يقولها الكاهن في هذه اللَّحظات، قد أفضَت في النِّهاية إلى إشراقة نور القيامة من بين الأموات، فأنارت الحياة. فالشَّمعة الموقدة عند المذبح، في صلاة الإفخارستيَّا، هي رمزٌ لنور قيامة المسيح، الذي بدَّد ظُلمة الموت، وأنار الحياة والخلود[٩].

كما أنَّ الميزة الفريدة التي ينفرد بها التَّقليد اللِّيتورجي الإسكندري في رواية التَّأسيس – والتي تنحصر أساساً في القُدَّاس المرقسي، وقُدَّاس سرابيون – فهي إيراده لنصّ كلمات التَّأسيس، في صيغة الماضي، استناداً إلى ما تمَّ في طقس تقديم الحَمَل.

ولقد انقسمت الأنافورات أي القُدَّاسات في هذه الجزئيَّة من الصَّلوات إلى قسمَين؛ قسمٌ التزم بالتَّقليد العبري القديم، مدركاً أنَّ البَرَكَة، هي مباركة الله الآب على الخُبز، وليست مباركة الخُبز ذاته. فلم يقُل: ''وباركه''، بل قال: ''وبارك''، أي ''بارك الله الآب عليه''. وهو ما نقرأه في نصِّ الكتاب المقدَّس والذي سبق أن قرأناه منذ قليل.

وهذا ما نجده في النَّص اليوناني للثَّلاثة قُدَّاسات القبطيَّة. حيث يقول الكاهن في القُدَّاسَين الباسيلي والمرقسي هكذا: ''شكر – εὐχαριστήσας''، و''بارك – Εὐλογήσας''، و''قدَّس – Ἁγιάσας''، سواء في تقديس الخُبز، أو تقديس الكأس[١٠].

وما يؤكِّد إدراك الأنافورا القبطيَّة لكون أنَّ البركة أو أفعال التَّقديس موجَّهة إلى الله الآب وليس إلى الخُبز أو الكأس، هو ما يذكره النَّص اليوناني للقُدَّاس الغريغوري القبطي هكذا: و''شكرتَ – ηὐχαρίστησας'' ، و''باركتَ – ηὐλόγησας''، و''قدَّستَ – ἡγίασας'' سواء على الخُبز أو على الكأس[١١].

أمَّا القسم الآخر من الأنافورات، فقد تحرَّر من هذا الالتزام العبري القديم، فقال: ''وباركه''، و''قدَّسه''. أي بارَكَ الخُبز وقدَّسه. أو ''وباركها''، و''قدَّسها''، أي بارك الكأس وقدَّسها. وهو ما نجده في النَّص القبطي للقُدَّاسات القبطيَّة الثَّلاث. ولكن ظلَّ فعل الشُّكر، أي في قول الكاهن: ''وشكر''، محتفظاً بوضعه التَّقليدي القديم، إذ لم يستطع أحد أن يقول: ''وشكر الله الآب''، تاركاً المعنى ضمنياً بحسب التَّقليد.

فأقدم نصٍّ قبطي صعيدي لكلمات التَّأسيس في القُدَّاس الباسيلي، كما وردت في مخطوط الدَّير الأبيض بسوهاج، والذي تعود نساخته إلى القرن السَّابع الميلادي، والذي يُقرِّر العُلماء أنه أقدم نصٍّ معروف حتى الآن للقُدَّاس الباسيلي باللُّغة القبطيَّة[١٢]، فيقول:

٧- ١كورنثوس ١١:٢٣

٨- البطريرك إغناطيوس أفرآم الثَّاني، مرجع سابق، ص ٢٧٤

٩- وهنا أكرِّر القول، بأنَّ استخدام الإضاءة الكهربائيَّة على المذبح، يُفقد نور الشُّموع مغزاها ومعناها الرُّوحي. فالنُّور الطَّقسي سواء في الهيكل أو في صحن الكنيسة هو نور الشُّموع والقناديل.

10- W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 95.

11- PG 31, 1637.

12- Le Muséon, Vol. 47, 1960.

''ووضع لنا هذا السِّرَّ العظيم الذي للتَّقوى، لأنه فيما هو راسمٌ أن يسلِّم نفسه للموت عن حياة العالم. أخـذ خُبـزاً، باركه، قدَّسه، قسَّمه، وأعطاه لتلاميذه القدِّيسين ورُسُله قائلاً: خُذوا كُلوا منه كلُّكم. هذا هو جسدي الذي يُبذل لأجلكم، ولأجل كثيرين لمغفرة الخطايا، اصنعوا هذا لذكري.

وهكذا الكأس أيضاً بعد العشاء، مزجها من خمر وماء، باركها، وقدَّسها، وشكر عليها، وأعطاها أيضاً لهم قائلاً: خُذوا اشربوا منها كلُّكم. هذا هو دمي الذي يُسفك من أجلكم، ومن أجل كثيرين لمغفرة الخطايا، اصنعوا هذا لذكري. لأنَّ كـلَّ مرَّة تأكلون هذا الخُبز، وتشربون هذه الكأس، **تبشِّرون بموتي** إلى أن أجيء[١٣]''.

ولكن قبل أن نسترسل في الحديث، لابد لنا هنا أن نتوقَّف لكي نفهم، ماذا تعني مباركة الابن للآب، في قولـه: ''شَكَرَ'' و''وبارَكَ'' و''قدَّسَ''؟ هنا ينبغي أن نفهم أمراً جوهرياً، وهو أنَّ الإفخارستيَّا هي ذبيحة شُكر مقدَّمة للآب بواسطة ابنه يسوع المسيح.

الإفخارستيَّا ذبيحة شُكر للآب بواسطة ابنه يسوع المسيح

إنَّ اللِّيتورجيَّات القديمة التي تفرَّعت عنها ليتورجيَّات متعدِّدة في الكنيسة الجامعة، هي في مضمون صلواتها تخاطـب الله الآب، مقدِّمة له الشُّكر بواسطة ابنه يسوع المسيح. وتنهج ليتورجيَّة القدِّيس مرقس الرَّسول في الكنيسة القبطيَّة والتي نعرفها باسم ''القُدَّاس الكيرلُّسي''، هذا النَّهج. ومثلها ليتورجيَّة القدِّيس يعقوب أخي الرَّب، وهما أقدم ليتورجيَّتين في الشَّرق المسيحي.

وفي ذلك يقول العلاَّمة المصري أوريجانوس (١٨٥- ٢٥٤م):

[إنَّ التَّقدمة ينبغي أن تكون على وجه العموم باسم الله ضابط الكُل بواسطة يسوع المسيح. وعلى قدر ما أنَّ المسيح هو مساوٍ للآب في الإلوهيَّة، بذلك لا تكون هناك تقدمة مزدوجة، بل تقدمة واحدة لله بواسطة الله].

وإنَّ أوضح مثال على ذلك هو الصَّلاة الرَّبيَّة التي نُصلِّيها إلى الآب، ونقول في ختامها: ''**بالمسيح يسوع ربِّنـا**''. وفي التَّقليد القبطي، وبالرَّغم من اشتراك الشَّعب كلِّه في ترديدها، إلاَّ أنه بعد تلاوتها، يعود الشَّعب ويردِّد آخر مقطع منها باللُّغة القبطيَّة باللَّحن، وهو: ''**بالمسيح يسوع ربِّنا**''.

وفي ختامها في القُدَّاس الإلهي، يقول الكاهن صلاة سرية: ''نعم نسألك أيها الآب القدُّوس الصَّالح، محب الصَّـلاح، **لا تُدخلنا في تجربة**، ولا يتسلَّط علينا كلُّ إثم. لكن **نجِّنا** من الأعمال غير النَّافعة، وأفكارها، وحركاتها، ومناظرها، ومجسَّـاتها. والمجرِّب أبطله واطرده عنَّا، وانتهر أيضاً حركاته المغروسة فينا، واقطع عنَّا الأسباب التي تسوقنا إلى الخطيئة. ونجِّنـا بقوَّتـك المقدَّسة، **بالمسيح يسوع ربِّنا**. هذا الذي من قبله ...''.

وهناك صلاة أُخرى يصليها الكاهن سرًّا حتى اليَوم في القُدَّاس الإلهي، وهي صلاة سحيقة في القِدَم، ترقـى إلى القـرن الرَّابع الميلادي. بدايتها: ''كَمُلَت نعَم إحسان ابنك الوحيد ...'' وفيها يقول الكاهن: ''نشكرك أيها الرَّب الإلـه ضـابط الكُل، لأنَّ رحمتك عظيمة علينا، إذ أعددت لنا ما تشتهي الملائكة أن تطَّلع عليه. نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، لكي إذ طهَّرتنا كلَّنا، تؤلِّفنا بك من جهة تناولنا من أسرارك الإلهيَّة. لكي نكون مملوئين من روحك القـدُّوس، وثـابتين في إيمانك المستقيم، وممتلئين من شوق محبَّتك الحقيقيَّة، **وننطق بمجدك كلَّ حين، بالمسيح يسوع ربِّنا** ...''.

وبالإجمال فعند كلِّ مخاطبة لله الآب، نختم بالذُّكصا التي نقول فيها:

- ''بالنِّعمة والرأفة ومحبَّة البشر، اللَّواتي لابنك الوحيد ربِّنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح، **هذا الذي من قِبَلـه المجـد والكرامة والعزَّة والسُّجود، تليق بك**، معه، ومع الرُّوح القُدُس المحيي المساوي لك''[١٤].
- أو: ''بالمسيح يسوع ربِّنا، هذا الذي من قبله **المجد والكرامة والعزَّة والسُّجود**، تليق بك معه ومع الرُّوح القُدُس ... الخ''.

١٣- لاحظ هنا أنَّ النَّص يشير فقط إلى ذكر موت الرَّب. وهو التزام بالنَّص الكتابي كما ورد عند القدِّيس بولس الرَّسول: « فإنكم كُلَّمـا أكلتم هذا الخُبز، وشربتم هذه الكأس، **تُخبرن بموت الرَّب** إلى أن يجيء» (١كورنثوس ١١:٢٦).

١٤- كما في ختام صلاة الشُّكر.

هذا هو نفس ما يقوله الإنجيل المقدَّس: «يعترفُ كلُّ لسان، **أنَّ يسوع المسيح هو ربٌّ، لمجد الله الآب**» (فيلبي ٢:١١).

إنَّ القُدَّاس المرقسي في تقليد الكنيسة القبطيَّة، يشرح بكلِّ إبداع وجلاء، هذه العقيدة السَّامية. وهي عقيدة وساطة الرَّب يسوع في تقديم الذَّبيحة. فتقول إحدى الصَّلوات اللِّيتورجيَّة لهذا القُدَّاس:

''قدوسٌ ربُّ الصَّباؤوت، السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدَّس أيها الرَّب إلهنا. بالحقيقة **السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدَّس من قِبَل ابنك الوحيد** ربِّنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلِّنا يسوع المسيح ...''.

هنا يتَّضح أنَّ السَّماء والأرض مملوءةٌ من مجد الآب من قِبَل ابنه يسوع المسيح.

وفي موضع سابق من نفس اللِّيتورجيَّة يقول الكاهن:

''أنت هو الذي خلق الإنسان كصورتك وكشبهك. وخلقت كلَّ الأشياء بحكمتك، نورك الحقيقي، ابنك الوحيد ربِّنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلِّنا يسوع المسيح، **هذا الذي من قِبَله نشكر ونقرِّب لك معه ... هذه الذَّبيحة**، وهذه الخدمة غير الدَّمويَّة''.

إذاً فالذَّبيحة مقدَّمة للآب من قِبَل ابنه الوحيد يسوع المسيح ومعه.

وفي موضع لاحق من ليتورجيَّة مار مرقس الرَّسول (القُدَّاس الكيرلُّسي)، يقول: ''فالآن يا الله الآب ضابط الكُل، فيما نحن نبشِّر بموت ابنك الوحيد ... يسوع المسيح ... ونعترف بقيامته المقدَّسة وصعوده ... وجلوسه عن يمينك ... **وننتظر ظهوره الثَّاني** ... ليدين المسكونة بالعدل ... وضعنا أمام مجدك القدُّوس قرابينك ممَّا لك يا أبانا القدُّوس''.

وهو نفس ما نقوله أيضاً في القُدَّاس الباسيلي القبطي: ''ففيما نحن أيضاً نصنع ذكر آلامه المقدَّسة ... وقيامته ... وصعوده ... وجلوسه عن يمينك أيها الآب، وظهوره الثَّاني ... نقرِّب لك قرابينك من الذي لك ...''.

ويعلِّق العالم كوكان Coquin بقوله: ''إنَّ إفخارستيَّة مار مرقس تُصر على تفخيم دور الوساطة التي يقوم بها الرَّب يسوع، مؤكِّدة على أنه ينبغي أن يكون موضع إعلان وشهادة ... إننا في الواقع لا نقابل مثل هذا الحذق، في أيِّ قُدَّاس شرقي آخر''[١٥].

هذا الاتجاه العقائدي الذي يُبرز أهميَّة وساطة الابن في الخليقة وفي تقديم الذَّبيحة، كما هو واضح في قُدَّاس مار مرقس الرَّسول، والقُدَّاس المصري للقدِّيس باسيليوس، هو في الواقع تقليدٌ عتيقٌ للغاية، نقرأ عنه كثيراً جداً في كتابات الآباء. ومثال لذلك ما يقوله العلاَّمة أوريجانوس:

[نحن نعبد – بكلِّ قوانا – الله الواحد وابنه الوحيد الكلمة – صورة الله – وذلك بالصَّلوات والتَّضرعات، **مقدِّمين توسُّلاتنا لله خالق العالم بواسطة ابنه الوحيد**. نُقدِّمها أولاً للابن متضرِّعين إليه بصفته كفارة لخطايانا، وكاهناً عظيماً كي يقدِّم ذبائحنا واشتياقاتنا وصلواتنا إلى الله العلي][١٦].

ولا يفوتنا أنَّ قُدَّاس القدِّيس سرابيون أُسقُف تمويس في القرن الرابع الميلادي وصديق البابا أثناسيوس الرَّسولي، يصير فيه استحالة الخُبز والخمر إلى جسد ودم الابن الكلمة، **بحلول اللُّوغوس نفسه على القرابين**.

فيقول نصُّ هذا القُدَّاس المصري الأصيل:

''يا إله الحق، فليأت كلمتك القدُّوس على هذا الخُبز، لكي يصير الخُبز جسد الكلمة. وعلى هذه الكأس، لكي يصير الكأس دم الحق. واجعله دواء الحياة، لكي يتناول منه كلُّ المشتركين، شفاءً لكلِّ مرض ...''[١٧].

وإنَّ وساطة الأقنوم الثَّاني من الثَّالوث القدُّوس في تحويل الخُبز والخمر إلى جسد الرَّب ودمه الأقدسَين، لازلنا نمارسها حتى اليَوم في طقس تقديم الحَمَل حين يُصلِّي الكاهن في نهايته، **صلاة سريَّة للابن**، تُسمَّى ''صلاة التَّقدمة''. وفيها يخاطب

١٥– الأب متى المسكين، الإفخارستيَّا والقدَّاس، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٥٨٩

١٦– نفس المرجع.

١٧– النَّص مترجم عن اليونانيَّة مباشرة من كتاب العالم برايتمان:

F.E. Brightman, *The Sacramentary of Serapion of Themuis,* The Journal of Theological Studies, Vol. I, London, 1900, p. 66. 88-113 , 247-277.

الكاهن السيِّد الرَّب يسوع المسيح قائلاً: ''أظهر وجهك على هذا الخُبز، وعلى هذه الكأس ... باركهما، قدِّسهما، طهِّرهما وانقلهما، لكي يصير هذا الخُبز جسدك المقدَّس، والمزيج الذي في هذه الكأس يصير دمك الكريم ...''.

فحين نقرِّب الذَّبيحة كلَّ يوم، نعترف كلَّ مرَّة أننا نفعل ذلك بواسطة المسيح، وأنه بسبب تقديمه لذاته من أجلنا، ولسُكناه فينا، هو الذي يقرِّب أبداً الذَّبيحة التي قدَّمها مرَّة وإلى دهر الدَّاهرين. نحن نعلم أننا عندما نقدِّم حياتنا لله، إنما نقرِّب المسيح، لأنه حياتُنا وحياةُ العالم كلِّه.

فالكاهن لا يقدر على إتمام خدمته اللِّيتورجيَّة بكهنوته الذَّاتي بل بكهنوت المسيح الذي يخدمه. لأنه ليس كهنوتاً آخر غير كهنوت المسيح، فهذا هو الكاهن إلى الأبد على رُتبة ملكي صادق. والكاهن في كنيسة العهد الجديد يبرهن بذلك على عدم انفصاله عن الجماعة قط، بل ويؤكِّد وحدته معها، لأنَّ المسيح هو الذي مات من أجل الكنيسة.

* * *

إنَّ العالم جريجوري دكس G. Dix (١٩٠١-١٩٥٢م) – وبنظرة عُلماء الغرب لأهميَّة رواية التَّأسيس، يرى أنَّ رواية التَّأسيس، هي المحور الرَّئيسي لكلِّ الصَّلاة الإفخارستيَّة، والمبرِّر لكلِّ ما تفعله الكنيسة في الإفخارستيَّا[١٨]. في حين اتَّجه الشَّرق – وفي المقابل – للتَّركيز على استدعاء الرُّوح القُدُس قُرب نهاية القُدَّاس، ليكون هو محور الصَّلاة الإفخارستيَّة، وذروتها.

ولكن يغيب عن هذا اللاَّهوت، أنه لا يمكننا الفصل بين ''أهميَّة'' هذه اللَّحظات، والإطار اللِّيتورجي برُمَّته، والقادر وحده على كشف فحواها الأصيل. ومن هنا، نلمس الثَّغرات التي تشوب تفسير الأسرار في اللاَّهوت المدرسي الغربي[١٩].

ثانياً: التَّذكار Anamnesis – ἀνάμνησις

يقول الكاهن في القُدَّاس الباسيلي: ''ففيما نحن أيضاً نصنع ذكر آلامه المقدَّسة ...''، إلى قوله: ''نقرِّب لك قرابينك ممَّا لك، على كلِّ حال، ومن أجل كلِّ حال، وفي كلِّ حال''.

وفي القُدَّاس الغريغوري: ''فإذاً يا سيِّدنا، فيما نحن نصنع ذكر نزولك على الأرض، وموتك المحيي ...''.

وفي القُدَّاس المرقسي: ''فالآن يا الله ضابط الكُل، فيما نحن نبشِّر بموت ابنك ...''.

وينفرد التَّقليد الإسكندري بذكر كلمة ''فالآن''، في بادئة التَّذكار. في حين أنَّ باقي التَّقاليد الأُخرى، ولاسيَّما التَّقليد السِّرياني، تذكر كلمة: ''لهذا''، أو ''لذلك''، أو ''إذاً''. كما ينفرد أيضاً بذكر فعل الموت الخلاصي مباشرة في بداية التَّذكار، ممَّا حفظه من إضافات تسبق الموت، كالنُّزول على الأرض، والآلام، كما هو حادث في التَّقليد السِّرياني المتطوِّر، ومعه التَّقليد البيزنطي.

فما هو معنى التَّذكار هنا؟ أي ما هو معنى قول الرَّب عن سرّ الإفخارستيَّا، «اصنعوا هذا لذكر»؟

ينبغي أن نعرف، أنَّ الكلمة اليونانيَّة ἀνάμνησις (أنامنيسيس)، لا تعني ذكرى ذهنية، أو تذكر لحدث حدث في الماضي، كما هو معروف في أيِّ لغة أُخرى. إذ تعني تحديداً: ''**استحضارُ حدث ما أمام الله، كان قد وقع في الماضي، ولكن ما زال فعله أو أثره ممتداً في الزَّمن الحاضر**''.

فإن عُدنا إلى الإصحاحَين التَّاسع والعاشر من رسالة العبرانيِّين، نجد أنَّ الذَّبائح الخاصة بناموس العهد القديم، لم تكن قادرة على محو الخطيئة، بل كانت بالحري تذكاراً ἀνάμνησις سنوياً لها. أو في الحقيقة ''استدعاءً لها – recall''. فنقرأ في رسالة العبرانيِّين، عن أنَ تقديم الذَّبائح: «فيها كلُّ سنة **ذكر** ἀνάμνησις خطايا» (عبرانيِّين ١٠:٣). لأنه لو كانت هناك مغفرة للخطايا والتَّعديات «لا يكون بعد قُربان عن الخطيئة» (عبرانيِّين ١٠:١٨). أي أنه لو كان هناك غفرانٌ للخطيئة بواسطة هذه الذَّبائح، فلم يكن من داع لتقديمها مراراً وتكراراً. ولقد أوضح فيلو (١٣ق.م-٥٠ب.م) المؤرِّخ اليهودي، أنَّ الذَّبائح

18- Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 167.

١٩- الأب ألكسندر شميمان، الإفخارستيَّا سرّ الملكوت، تعريب سامر عبّود، منشورات النُّور، ١٩٩٣م، ص ٢١

المقدَّمة عن الخطايا، لم تكن غفراناً لها، بل إعادة تذكُّر لها[٢٠].

وهكذا يتَّضح لنا جلياً المعنى المقصود من قول الرَّب: «لن أذكر οὐ μὴ μνησθήσομαι خطاياهم وتعدِّياتهم فيما بعد» (عبرانيِّين ١٠:١٧)، فتعبير: «لن أذكر»، يعني ''لن استحضر أمامي خطاياهم وتعدِّياتهم مرَّة أُخرى''.

وإن انتقلنا إلى عبارة: ''هذا اصنعوه لذكري''، كما وردت على فم الرَّب نفسه، عند تأسيسه لسرِّ الإفخارستيَّا[٢١]، والتي ترد في كافة اللِّيتورجيَّات تقريباً بعد كلمات التَّأسيس، نجد أنَّ كلمة ''التَّذكار – recall''، لا تختص بتذكار العشاء الأخير فحسب، وإنما أيضاً بتذكار موت المسيح وقيامته. حيث يقول الكاهن: ''ففيما نحن نصنع ذكر آلامه المقدَّسة، وقيامته من بين الأموات، وصعوده إلى السَّموات، وجلوسه عن يمينك أيها الآب ... الخ''، وهذه الأفعال الخلاصية كلُّها، كانت بعد موت الصَّليب. وبذلك يتأكَّد لنا معنى التَّذكار وأهميَّته. ففداء المسيح قد تمَّ بواسطة آلام وموت المسيح، مرتبطاً بقيامته.

فحين نذكر الرَّب في صلاتنا، فإنه يحضر بيننا كوعده. فبالأحرى إن ذكرناه في الإفخارستيَّا، وصنعنا تذكاره حسب وصيَّته لنا: ''اصنعوا هذا لذكري''، فهو إذاً حاضر بالضَّرورة معنا، يُقدِّس ويُكمِّل القرابين. وحضور الابن، يعني بالضَّرورة حضور الثَّالوث القدُّوس، تماماً كما فعل الرَّب في ليلة عشائه الأخير مع تلاميذه.

فالرَّب يريد بجسده ودمه الأقدسَين، الموضوعَين على المذبح، أن يحقِّق بيننا حضوره السِّري الدَّائم في كنيسته، عوض حضوره المنظور بين تلاميذه في العُليَّة، قبل آلامه وصلبه. حتى يكون لنا بأكلنا من جسده، وشُربنا من دمه المقدَّس، وجودٌ دائمٌ في حضرته، وعبورٌ به إلى الآب، لأنه هو فصحُنا. ومن أجل هذا، اشتهى المسيح – وهو يحملنا فيه – أن يأكل هذا الفصح الحقيقي مع تلاميذه، قبل أن يتألَّم، حتى لا يعبر وحده، بل نعبر كلُّنا فيه ومعه، إلى الآب. فهذه هي الذِّكرى، ذكرى حضور المسيح بيننا، وعبورنا به ومعه، بجسده ودمه، بآلامه وموته وقيامته، إلى الآب.

إننا في الإفخارستيَّا، نصنع ''لا موت الرَّب'' الذي ماته على الصَّليب مرَّة واحدة، ولكن ''ذكر موته'' بحسب منطوق اللِّيتورجيَّا. ولأنَّ فعل موت الرَّب كبقيَّة أفعاله الخلاصيَّة الأُخرى (القيامة والصُّعود ... الخ)، هو فعلٌ واحدٌ ممتد أبداً عبر كلِّ زمان، ولا يحويه زمان، فدمُ المسيح لازال يطهِّر كلَّ خطاة الأرض حتى اليَوم، وسوف يُطهِّر أيضاً إلى التَّمام، كلَّ الملتجئين إليه بالإيمان. إذاً، فتذكار موت الرَّب وقيامته، هو قبولٌ واشتراكٌ في موته وقيامته، بالأسرار التي أودعها الرَّبُّ كنيسته.

أي أنَّ ذكرى الصَّليب في القُدَّاس الإلهي، هي ''ذكرى عينيَّة''، وليست مجرَّد ''ذكرى كلاميَّة أو رمزيَّة أو معنويَّة''. أي أنها ذكرى بعين الشَّيء، ولنفس الشَّيء. ففي القُدَّاس الإلهي، تكون ذبيحة الصَّليب نفسها حاضرة. وهذا هو معنى أنَّ القُدَّاس الإلهي، هو ذكرى موت المسيح.

كلُّ اللِّيتورجيَّات تذكُر تقريب القرابين، بعد موضوع التَّذكار.

- ففي القُدَّاسين الباسيلي والغريغوري، يقول الكاهن: ''نقرِّب لك προσφέρομεν σοι قرابينك من الذي لك على كلِّ حال، ومن أجل كلِّ حال، وفي كلِّ حال''.
- وفي القُدَّاس الكيرلُّسي أو المرقسي يقول: ''أنت الذي وضعنا προεθήκαμεν أمام مجدك القدُّوس قرابينك، ممَّا لك يا أبانا القدُّوس''.

ومرَّة أُخرى، نلاحظ أنَّ التَّقليد الإسكندري، يذكر أنَّ وضع القرابين قد تمَّ فعلاً من قبل. حيث تأتي الصِّيغة في الزَّمن الماضي: ''**وضعنا** أمام مجدك ... قرابينك''، إشارة إلى ما تمَّ فعلاً في طقس تقديم الحَمَل. فالطَّقس الإسكندري ممثَّلاً في القُدَّاس المرقسي، لا يقول بتقديم جديد للقرابين، بخلاف جميع اللِّيتورجيَّات السِّريانيَّة والبيزنطيَّة، التي تقول بتقديم للقرابين في الحاضر، وهي الصِّيغة التي وردت في القُدَّاسَين الباسيلي والغريغوري القبطيَّين.

20- *De Vita Moys*. ii. 107

٢١- انظر: لوقا ٢٢:١٩

نقرب لك ... من الذي لك

يقول القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م):

[يقول الرَّب: «تقدماتي هي عطاياي»[٢٢] أي أنَّ الذي تقدِّمونه لي، هو أصلاً عطيَّتي لكم] (الخطاب الفصحي الخامس).

إنَّ كلَّ الدِّيانات الأُخرى – بما فيها الدِّيانة اليهوديَّة – تقدِّم لله، أو للأَّهوت، أو حتى للصَّنم، أو ليهوه، ذبائح بعيدة كلّ البُعد عن طبيعة الله. سواء كانت ثوراً، أو خروفاً، أو حمامة، أو يمامة. أمَّا نحن، فنقدِّم لله ذبيحة إلهيَّة، هي ذبيحة ابنه الوحيد.

لقد كُنَّا كلُّنا في المسيح[٢٣]، حين قدَّم المسيح ذاته ذبيحةً عنَّا ومن أجلنا إلى الآب. «اسلكوا في المحبَّة، كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا، قُرباناً وذبيحة لله، رائحة طيبة» (أفسس ٥:٢). ونقول في القُدَّاس الإلهي عبارة في غاية الأهميَّة: ''**رفع قدِّيسيه إلى العُلى معه، أعطاهم قرباناً لأبيه**''.

وحين يقارن القدِّيس بولس الرَّسول بين ذبائح العهد القديم ودم المسيح، يقول: «لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة (محروقة) مرشوش على المنجَّسين، يُقدِّس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي **بروح أزلي** قدَّم نفسه لله بلا عيب، يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة **لتخدموا** الله الحي» (عب٩: ١٣، ١٤). فعمل الفداء هنا، لا يقف عند تطهير الضَّمائر والنيَّات فحسب، بل يمتد لخدمة وعبادة الله الحي، بواسطة يسوع المسيح.

ويشرح القدِّيس بطرس الرَّسول، معنى قول رسالة العبرانيِّين «بروح أزلي»، فيقول: «عالمين أنكم افتُديتم ... بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، **دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد ظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم**. أنتم الذين به، تؤمنون بالله الذي أقامه من الأموات، وأعطاه مجداً ...» (١بطرس ١:١٨-٢١).

وهذا هو نفس ما تقول به صلاة شُكر بعد التَّناول في القُدَّاس الكيرلُّسي: ''أنعمت لنا بالحريَّة، وأعطيتنا من هذا الطَّعام غير المائت السَّمائي، **وأظهرت لنا كلَّ هذا السِّر المُخفي منذ الدُّهور والأجيال، لكي تَظهر الآن للرؤساء والسَّلاطين في السَّماويَّات، من قِبَل الكنيسة، حكمتَكَ المتنوِّعة**''.

ثالثاً: الاستدعاء: The Invocation – ἡ ἐπίκλησις

هو استدعاء الأقانيم الثَّلاثة، أو واحد منها، ليحلّ على القرابين، ويُقدِّسها، ويجعل منها جسد الرَّب ودمه الكريمين. وكذلك أيضاً على المؤمنين الحاضرين، ليؤهِّلهم لقبول الأسرار المقدَّسة المهيبة.

فحين يطلب الكاهن في صلاة سريَّة، حلول الرُّوح القُدُس علينا وعلى القرابين، يقول في القُدَّاس الباسيلي: ''... ليحل روحك القدُّوس علينا''، يشيرُ بيديه إلى ذاته، ثمَّ يكمِّل: ''وعلى هذه القرابين الموضوعة''، فيشيرُ إلى القرابين. ثمَّ يكمِّل قائلاً: ''ويُطهِّرها [وينقلها][٢٤] ويُظهرها قُدساً لقدِّيسيك''.

وفي القُدَّاس المرقسي يقول الكاهن: ''وأرسل إلى أسفل من علوك المقدَّس ... البارقليط روحك القدُّوس ... علينا نحن عبيدك وعلى هذه القرابين التي لك المكرَّمة **السَّابق وضعها أمامك**، على هذا الخُبز وعلى هذه الكأس، لكي يتطهَّرا [وينتقلا][٢٥].

ففي اللِّيتورجيَّات القبطيَّة الثَّلاثة، يكون الاستدعاء الأوَّل لها كُلها في طقس تقديم الحَمَل، وهو لأقنوم الابن، **لنقل القرابين**. ثمَّ هناك ثلاثة استدعاءات بعده لأقنوم الرُّوح القُدُس في القُدَّاس المرقسي، **لتكميل القرابين**. أو استدعاء ثانياً فقط لأقنوم الرُّوح القُدُس في القُدَّاسَين الباسيلي والغريغوري، **لاستعلان القرابين**.

٢٢- عدد ٢:٢٨ سبعينيَّة.

٢٣- انظر: رومية ٨:٦ ، أفسس ٦:٢

٢٤- مخطوطات الخولاجيَّات القبطي العربي حتى إلى ما بعد القرن الثَّالث عشر، تتَّفق كلها على عدم وجود كلمة ''وينقلها''. كما أنَّ النَّص اليوناني للقُدَّاس الباسيلي يقول: ''ويُقدِّسها ويُظهرها'' – καὶ ἁγιάσαι καὶ ἀναδεῖξαι .

٢٥- يقول النَّص اليوناني للقُدَّاس المرقسي: ''على هذا الخُبز، وعلى هذه الكأس، لكي كإله كُلِّي القدرة، **يتباركا** εὐλογήση **ويتقدَّسا** καὶ ἁγιάση **ويتكمَّلا** τελειώσῃ''. ذلك لأنَّ نقل القرابين قد تمَّ في طقس تقديم الحَمَل.

وينفرد القدِّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) بنصٍّ إفخارستي فريد، في القرن الثَّاني الميلادي، وذي قيمة عالية في تاريخ الاستدعاء، يشرح معنى وجود أكثر من استدعاء في القُدَّاس الواحد، فيقول:

[وعندما نستكمل تقديم الصَّعيدة، نستدعي الرُّوح القُدُس، لكي يُظهر (يعلن) هذه الذَّبيحة، الخُبز جسداً للمسيح، والكأس دماً للمسيح، حتى لكي يحصل المتناولون منها، على مغفرة الخطايا، والحياة الأبديَّة].

وهنا يبدو واضحاً جداً، أنَّ عمل الرُّوح القُدُس في الإفخارستيَّا - بحسب القدِّيس إيريناؤس - **هو إظهار أو إعلان سرِّ الجسد والدَّم، الذي حدث وكَمُل بالتَّقديس.**

فالرُّوح القُدُس يحل علينا، لكي يُقدِّسنا لنصير أهلاً للتَّناول من الأسرار الإلهيَّة، فنتَّحد بالرَّب اتحاد الكرمة بالأغصان. فكلٌّ من يتناول من جسد الرَّب ودمه الكريمَين، يُربَط بهما عبر الزَّمن والحياة اليوميَّة برباط الرُّوح القُدُس الذي يهبنا قوَّة القيامة، ويوحِّدنا بجسد المسيح، لنحيا دوماً فيه، ومعه، معلناً حقيقة ملكوت الله داخلنا.

وإنه من البديع هنا، أن أُوردُ ما يذكره الأنبا ساويرس ابن المقفَّع (حوالي ٩١٥-١٠٠٠م) أُسقُف الأشمونين عن موضوع الاستدعاء، فيقول:

"... افهم هذه الفضيلة العظيمة يا حبيب، التي تحصل لجميع الحضور في الكنيسة، أنَّ **الرُّوح القُدُس يحل عليهم قبل أن يحل على هذه القرابين**. فهو يحل على الشَّعب، قبل القرابين. وكما يُقدِّس (الرُّوح) القُربان الأرضي الفاني، فيجعله سمائياً باقياً، كذلك يُقدِّس جميع الحاضرين بين يديه بحلوله عليهم من خطاياهم المهلكة، ويجعلهم مستحقِّين الحياة الدَّائمة المؤبَّدة ...

يقول الكاهن: يارَبُّ يا صادق في مواعيدك، كما قدَّست هذه القرابين بحلول روح قُدسك عليها، كذلك قدِّسنا نحن أيضاً من خطايانا الخفيَّات والظَّاهرات، وأبعد عنَّا كلَّ فكر لا يرضي صلاحك. وطهِّر بالكمال نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا ونيَّاتنا وقلوبنا، لكي بقلب طاهر ونفس مضيئة وشفتَين نقيَّتَين نستجرئ بدالة بغير خوف أن نسمِّيك أبانا، كما علَّمنا ابنك الوحيد ربُّنا يسوع المسيح وقال: «إذا صلَّيتم فقولوا هكذا». يقول جميع الشَّعب: أبانا الذي في السَّموات ... الخ"[٢٦].

حضور المسيح في الأسرار في فكر آباء الكنيسة

بحسب فكر آباء الكنيسة، نحن نتناول جسد المسيح الحقيقي في صورة الخُبز، ونتناول دم المسيح الكريم، في صورة الخمر. **فحضور المسيح في الأسرار، ليس حضوراً مادياً، ولا حضوراً روحياً، بل هو حضور سرِّي وحقيقي، في آن معاً.** وبحسب اللاَّهوت الآبائي الأرثوذكسي، فإنَّ جسد المسيح "**هو**" هذا الخُبز عينه بعد تقديسه، ودم المسيح الكريم "**هو**" هذا الخمر عينه بعد تقديسه.

يقول القدِّيس إيريناؤس (١٣٠- ٢٠٠م):

[إنَّ الخُبز الإفخارستي، باستدعاء الرُّوح القُدُس، لا يحجب حضوراً آخر، بل يوحِّد الطَّعام السَّماوي وطعام الأرض، إذ يجعلهما الشَّيء نفسه][٢٧]، وهذا هو السِّر.

وفي قول للعلاَّمة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) في غاية الدِّقة، يقول:

[الخُبزُ المنظور ... يحمل سرَّ الجسد المكسور. والشَّرابُ المنظور يحمل سرَّ الدَّم المسفوك][٢٨].

لقد حافظ اللاَّهوت الأرثوذكسي على تعليم الآباء الذي يؤكِّد على الحضور الحقيقي للمسيح في سرِّ الإفخارستيَّا، وتحوُّل الخُبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه، دون محاولة تفسير هذا التَّحوُّل بلغة الفلسفة. إذ يرفض اللاَّهوت الأرثوذكسي مفهوم تحوُّل جوهر الخُبز والخمر في الإفخارستيَّا Transubstantiation ، وهو التَّعليم الكاثوليكي. ويرفض أيضاً مفهوم وجود الجوهرَين معاً Consubstantiation ، أي جوهر الخُبز والخمر من جهة، وجوهر جسد المسيح ودمه من جهة أُخرى، وهو

٢٦- الأنبا ساويرس بن المقفَّع، الدُّر الثَّمين في إيضاح الدِّين، مرجع سابق، ص ١٢٤، ١٢٥

٢٧- ضد الهرطقات (٤:٤٣). انظر: الأب سليم بسترس، مرجع سابق، ص ١٧٨

٢٨- عظة ٨٥ على إنجيل متى.

التَّعليم اللوثري. أي أنَّ جسد المسيح، لا يكون مكان جوهر الخُبز، كما يقول الكاثوليك، ولا معه ولا فيه، كما يقول لوثر. بل بحسب اللاَّهوت الأرثوذكسي، "**هو**" هذا الخُبز بعد تقديسه.

يقول القدِّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م):

[كما أنَّ الخُبز الأرضي ببركة الله يكف عن أن يكون خُبزاً بسيطاً، لكنَّه يصير إفخارستيَّا مؤلَّفة من خُبز أرضي وسماوي، هكذا أجسادنا أيضاً بعد أن تشترك بالإفخارستيَّا الإلهيَّة، ليست بعدها فاسدة، بل لها رجاء القيامة] (ضد الهرطقات ٤:٣٤).

وأخيراً أُوردُ هنا جزءاً من الخطاب الأخير الذي ألقاه القدِّيس مقاريوس الكبير على أولاده قبل نياحته، يقول لهم:

[يا أولادي؛ أنا أعطي وصيَّتي لكلِّ واحد منكم، أن لا يدنو من الأسرار المقدَّسة، إلاَّ وهو مستبرئ نفسه (يحاكمها فيجدها بريئة)، أمَّا إذا كان بينه وبين أخيه وَجْد (حقد)، فليمض إليه، ويصالح قلبه، ويضرب له ميطانية (توبة واستغفار). وبعد ذلك يتناول من الأسرار الطَّاهرة، عالمين أنَّ محبَّة الإخوة، ومصالحة قلوبهم بعضهم نحو بعض، هي النِّعمة كلّ النِّعمة، وهي العبادة، وهي الملكوت ... فاحترسوا يا أولادي وتحفَّظوا، حتى لا يتقدَّم أحدٌ إلى الأسرار المقدَّسة، وهو في شكٍّ بسبب من الأسباب، لئلا يهلك وهو لا يدري][٢٩].

[٢٩] - الأب متى المسكين، الرَّهبنة القبطيَّة، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ص ١١٦، ١١٧